بشائر النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة عيد الأضحى (١٤٠٨هـ)

للشهيد عبد الله عزام[1]

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الإخوة المؤمنون، أيها المسلمون: هذا يوم النحر، هذا يوم الحج الأكبر، يوم يتقبل فيه الله الدعوات، يوم ترمى فيه الجمرات، يوم ينزل فيه نجيع التضحيات، فأقبلوا على الله عز وجل وأقبلوا على بعضكم، وتوادوا فيما بينكم ولتتصافى قلوبكم.

يا أيها الإخوة: هذا اليوم والذي يليه وبعده يومان إلى ثالث أيام التشريق يبقى التكبير في كل مكان، في الأسواق، في البيوت، -وخاصة بعد الصلوات المفروضة- يبقى التكبير بعد كل صلاة إلى عصر اليوم الثالث عشر من ذي الحجة.

ويبقى جواز النحر في هذه الأيام الأربعة، هذا اليوم والذي يليه والذي بعده... هذا الذي رجحه الشافعية، وإن كان الحنبلية قد قالوا: إن اليوم الثالث عشر لا نحر فيه ولا ذبح للأضاحي.

يا أيها الإخوة الكرام: تذكروا أن عدد الحجيج الآن حوالي مليون وثلاثمائة وخمسين ألفاً، فلو ضحى كل واحد منهم بهدي، لو قدم هدياً إلى الله عز وجل، فكل هذه التي قدموها دون الدماء التي قدمت لأفغانستان من أجل أن تصنع التاريخ الإسلامي.

وكلما تناولتم الحلوى أو أخذتم فاكهة أو أكلتم شريحة لحم تذكروا أن حولكم أناساً لا يجدون فتات الخبز ولا يجدون جلفة، ولا يجدون الإدام للخبز الجاف، فتذكروهم في هذا اليوم.

يا أيها الإخوة: كذلك لا تنسوا أن الإسلام (ونحن في يوم النحر يوم الأضاحي يوم التضحيات) يحتاج إلى بذل الكثير:

ولا يبني الممالك كالضحايا ... ولا يدني الحقوق ولا يحق

ففي القتلى لأجيال حياة ... وللأسرى فدى لهم وعتق

وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرجة يدق

يا أيها الإخوة: الحمد لله رب العالمين، هذا أول عيد يشهد فيه المسلمون ولادة دولة إسلامية قامت على رؤوس الرماح[2].

هذا أول عيد يستبشر فيه المسلمون قامت فيه قائمة الإسلام.

هذا أول عيد نسمع فيه قيام مجد فوق بحور الدماء، صنعت لبناته من العظام والأشلاء.

هذه الدولة كما يقول عنها أبو الطيب:

أغلى الممالك ما يبنى على الأسل ... والطعن عند محبيهن كالعسل

أيملك الملك والأسياف ظامئة ... والطير جائعة لحم على وضم

يا أيها الإخوة: يا من تريدون أن تتحرروا من القيود.. يا من تريدون أن تحطموا الأغلال التي ترسف فيها أرجل العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ومن شرقه إلى غربه، هذا نموذج أمامكم بأن الدماء هي التي تصنع الأحياء... بأن القتال وميدان النزال هو الذي يبني الممالك ويصنع الأمجاد.

أيها الإخوة: هذا يوم يجب أن تتذكروا فيه أن العالم كله قد أجمع أمره وصوب سهامه كلها تجاه هذه الدولة الإسلامية الوليدة... تعاهدوا وتقاسموا بينهم أن لا يقوم للإسلام قائمة منذ بداية هذا القرن، ومنذ أن أطاحوا بهذا العرش الأثيل، الذي مكث ثلاثة عشر قرناً، منارة سامقة لكل العالم الإسلامي.

ولكن هيهات هيهات، إنهم يريدونها تجربة جزائرية يأتون فيها برجل صنعته فرنسا لتقيم دولة اشتراكية شعبية، ليس فيها اسم

١- هذه الخطبة مكررة في أشرطة الشيخ، إلا أن الشيخ -رحمه الله- وضعها هنا مع شيء من التنقيح.

٢- هذه الحكومة هي حكومة أحمد شاه زي (حكومة المجاهدين المؤقتة التي شكلت في باكستان).

عروبة ولا إسلام!!

إنهم يريدونها أن تكون جاهلية أفغانية ليس للإسلام فيها رائحة.

إنهم يريدون أن يثيروا قمامة الجاهلية التي قال عنها رسول الله ﷺ: {دعوها فإنها منتنة}.

ولذا فإنهم يريدون أن يفرضوا الآن على الشعب الأفغاني إنساناً من صنائع الغرب، صنعوه وراء كواليسهم وتربى على أعينه

هؤلاء الأمريكان السمر، أسماؤهم أسماء الأفغان وعقولهم عقول أنطون وريغن وميتران.

هؤلاء يريدون أن يفرضوا الآن باسم الدولة الإلحادية التي يسمونها ظلماً وزوراً (دولة حيادية)، ليس في الإسلام حياد.. إ كفر وإما إسلام، إما إيمان وإما شر وباطل.

نحن نعلم أن هؤلاء ما قدموا قطرة عرق واحدة ولا قدموا ظفراً واحداً، لم نر نجيعهم سفك... لم نر أسرهم تمزقت... لم بيوتهم تهدمت... لم نر أبناءهم يشوهون.

هؤلاء الغربيون -كردفيس وما إلى ذلك- هؤلاء ذاهبون عائدون، والعالم كله صامت صمت القبور إزاء هذه الدولة الوليدة، ا الغرب قد أبى أن يرى للإسلام قائمة في الأرض، لأن القرارات يجب أن تصنع من خلال البيوت البيض والحمر لا من خلال صفا البيض والسمر!!.

إننا فهمنا من خلال اللغة التي تعامل بها الأفغان -لغة البيض والسمر، لغة السيوف والرماح- أن هذه اللغة هي الوحيدة ال تستطيع أن تسمع كل البيض والحمر في العالم.

والأفغان علمونا -بإسلامهم وبتوكلهم على الله عز وجل- أن نقول كما قالوا:

دع المداد وسطر بالدم القاني وأسكت الفم وانطق بالفم الثاني

فم المدافع في وجه الطغاة له من الفصاحة ما يزري بسحبان

هؤلاء علمونا:

إن ألفي قذيفة من كلام لا تساوي قذيفة من حديد

أيها الإخوة: هذا نموذج حي... هذه تجربة رائدة بعدما وصلت الأمة الإسلامية إلى حافة الهاوية.. بعد أن جفت عروقها م النجيع... بعد أن وقف قلبها عن النبض... بعد أن وقف جهازها عن التنفس.

الله عز وجل أخرج لها هذا الشعب، تجربة حية فريدة فذة غالية في الآفاق تقول للمسلمين: هذه شاهدة أمامكم، أقوى قوة في الأرض أمام أضعف شعب مسلم في الأرض، يخوض هذا الشعب لعشر سنوات متواصلة حرباً طاحنة ضروساً وقتالاً مريراً ل يتوقف لحظة.

إن القتال عبر عشر سنوات مرت بها أفغانستان كالطواف بالكعبة تماماً، فكما أن الطواف بالكعبة لم يتوقف طوال هذ السنوات العشر لحظة واحدة، كذلك الجهاد في أفغانستان لم يتوقف لحظة.

ومع ذلك لو خاضت روسيا حرباً ضد ألمانيا أو ضد فرنسا أو ضد بريطانيا، كم ستقف أمامها هذه الدول؟ هل تقف أمامها أسبوعاً واحداً؟!! ومع ذلك وقف هذا الشعب باعتماده على ربه، وبتوكله على خالقه، وبانطلاقه من بين طيات كتابه.. وقف شامخ الرأس عالي الهمة، لا يطأطئ رأساً ولا عنقاً إلا لخالقه، ولا يذل إلا لبارئه، فأثبت للدنيا كلها أن الإسلام أقوى من الأرض كلها، وأثبت أن المسلم أعز إنسان فوق هذه المعمورة.

والله أيها الإخوة عندما أرى هذا المثال الحي... هذه التجارب الضخام... هذه المعارك العظام التي دارت فوق ذرى الهندوكوش، وفوق سفوح جبال سليمان، وعلى أحواض هاري رود والهلمند وجيحون، لا يكاد المرء يصدق أن هذا كان وقائع حية تسري وتجري فوق هذه الأرض، ويظنه ضرباً من الخيال تدركه الأشواق وتقصر دونه الأفعال.

أيها الإخوة: إن التوكل على الله عز وجل يصنع الأعاجيب ويقيم المعجزات ويحدث في عالم الأرض ما لم يحدثه أي شيء آخر، ومن لا بد لنا أن ننشد هذه الأبيات لهذا الشعب الكريم:

وصن الحسام ولا تذله فإنه | يشكو بمينك والجماجم تشهد
جف النجيع عليه وهو مجرد | من غمده فكأنما هو مغمد
ريان لو قذف الذي أسقيته | لجرى من المهجات بحر مزبد
ما شاركته منية في مهجة | إلا وشفرته على يدها يد
يأتيك مرتدياً بأحمر من دم | ذهبت بخضرته الكلى والأكبد

يا أيها الإخوة: هذا الشعب الكريم له فضل بعد رب العالمين على كل مسلم في الأرض... هذا الشعب المسلم العظيم... هذا الشعب المسلم الكريم له منّة في عنق كل مسلم -إن كان في رأسه مسكة من عقل-، أما الذين لا يعلمون ناموس رب العالمين، فإن كانوا جهلة مع إخلاص فنرجو الله أن يغفر لهم، وإن كانوا مغرضين حاقدين فلنسمع قانون رب العالمين وناموسه في مثل هذا الغثا. **(فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).**

(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال). (الرعد:١٧)

(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) (إبراهيم:٢٤-٢٧)

إن الذين لا يعرفون سنن الله في المجتمعات، ولا يدركون كيف تدول الدول وكيف تتغير الأمم، هؤلاء لا يدركون قيمة الأفغان في واقع الأرض.

وأعداء الله -للأسف- يدركون أعماق هذه التجربة وأبعادها أكثر منا، فيهولهم أمرهم، وترتعد فرائص العالم كله.

إن الرعب ليجري في دمائهم، وترتعد له أبدانهم، وترتعش له أعضاؤهم.

إنهم يدركون جيداً، ومن هنا يصرح راجيف غاندي: إن قيام دولة دينية في أفغانستان خطر على المنطقة كلها.

نعم.. إنه خطر على المنطقة كلها لأنهم يدركون من هم الأفغان.

إن أحمد شاه بابا -ولسبع مرات- قد قرع أبوب دلهي، وقد كانت هذه بيشاور عاصمته الشتوية، وكانت لاهور تحكم من قبل ابن تيمورلنك.

وكم قتل من السيخ هنا على أبوب بيشاور؟ وأما الهندوس فقد قتل منهم ما يزيد على عدد جيش أحمد شاه بابا على أبوب دلهي.

وأحمد شاه هذا كان يستثير القبائل الإسلامية من قندهار، يجري بها ويمشي حتى يمر من هذه المنطقة، وكانت بلوشستان كلها تابعة له... هذا سنة (١٧٤٧م).

وكان حكمه يمتد من بحر العرب جنوباً -حيث كانت كل منطقة بلوشستان تابعة له، ومن مملكته- إلى بخارى شمالاً، ومن كشمير ودلهي شرقاً إلى مشهد ونيسابور غرباً، وكان شرق إيران تابعاً لأحمد شاه هذا.

إنهم لا يريدون دولة إسلامية... إنهم لا يريدون دولة أصولية... إنهم يريدونها دولة معتدلة... لا يريدونها أصولية، لا يريدون الأصوليين الذين يرجعون إلى الكتاب والسنة... الذين تصدر القرارات من عقولهم... الذين تصنع سواعدهم وعزائمهم إرادتهم ووقائعهم.

إنهم يريدون أن يصدر القرار من رأس ريغان أو رأس غورباتشوف باسم الأمم المتحدة وباسم مجلس الأمن.

أيها الإخوة:

أفلا يأتي يوم نحيا | فيه حياة إسلامية
يهتف كل الكون يغني | لا شرقية ولا غربية

إسلامية إسلامية

المسلم فقط هو المحروم من حق الحياة... فقط المسلمون هم الذين يذبحون في مشارق الأرض ومغاربها... فقط المسلمون ، الذين يقدمون كالشياة قرابين رخيصة على مسالخ ومذابح شهوات هؤلاء الغربيين.

كلما رأوا نفساً في المنطقة أخمدوها وسلطوا عليها أبناء أمتنا، ليضربوها تلك الضربات التي تكال لطلائع البعث الإسلامي ؛ كل مكان، وبالسجن وبالإبادة والقمع تقمع أي حركة إسلامية.

والآن وقد نجحت الحركة الإسلامية الأفغانية لم يعودوا يستطيعون أن يرجعوها إلى القمقم مرة أخرى.

لقد تحرك المارد وانطلق من القُمقُم ولا مجال لإرجاعه مرة أخرى، لا سلطة لأمريكا ولا سلطة لمجلس الأمن، لا سلطة للغرب و سلطة لأحد.

إنهم يرتعشون فعلاً، لقد جسوا نبض هؤلاء وعجموا عيدانهم فوجدوها صلبة المكسر وليست لينة المعصر، حاولوا أ يحتووهم... جربوا تربيتهم على الموائد الأمريكية ولكنهم فشلوا.

لقد رد سياف القنصل الأمريكي بعد أن وصل أعتابه، قالوا: يريد أن يقابلك، فقال: ليس عندي فراغ الآن وأنا مشغول الآ ورجع على أعقابه خاسراً يجر أذيال الخيبة والخسران.

لقد رفض حكمتيار أن يقابل ريغان -وفي داخل أمريكا-.

ويتعجب السفير الباكستاني قائلاً له: أنت مجنون!! هذا ريغان سيد الأرض، ستون ملكاً ورئيساً على قائمة ريغان ويرفض مقابلتهم ويؤخرها وأنت الفقير يطلب مقابلتك بنفسه وترفض؟! فقال: نعم.. وإن أصررتم فسأغادر أمريكا الآن.

ولقد رأيت بنفسي الخطاب الموجه من الكونجرس الأمريكي لمحمد ياسر وحكمتيار، صورة رائعة: يقول الخطاب: بما أنك شعب ضرب المثال الرائع الحي للشعوب التي تريد أن تحطم القيود وتتحرر، فنتشرف بدعوتكم لتلتقوا بالكونجرس الأمريكي مسا (٢٩/١٠) أكتوبر (١٩٨٥م).

فقالوا: إن الكونجرس وجه آخر لريغان، ورفضوا أن يقابلوا الكونجرس.

لماذا يدعونهم للبيت الأبيض: لتؤخذ صورهم وليقال للعالم هذا هو الجهاد الذي يسمونه إسلامياً... هذا عبارة عن لعبة مز (CIA) التي تلعب بالعالم كما شاءت.

ويونس خالص الذي رفض أن يقابل كوردفيز، وبعد أن ألح كوردفيز ويونس خالص يرفض -مع أنه رجل في السبعين من عمره- توسط ضياء الحق واتصل بيونس خالص، فقال: إن لم تأت لتقابله فسآتي به إلى بيتك في بيشاور، قال: سأقابله من أجلك لأنك رجل طيب واقف معنا، وقابله وقال له: يا كوردفيز أنا لم أقابلك من أجلك، قابلتك من أجل ضياء الحق، وأنا أنصحك أن تدخل الإسلام[1].

والشيخ رباني قابل ريغان، وتكتب الصحف بالخط العريض: لأول مرة في الأرض وفد يقول في وجه ريغان لا... يقول له ريغان: هل وصلتكم الأسلحة؟ فيجيب الأستاذ رباني إجابة لاذعة وبسخرية عميقة: إننا ننقل أسلحتنا على البغال والحمير عبر أفغانستان، ولعل أسلحتكم على البغال الأمريكية لم تصل حتى الآن.

يا أيها الإخوة: يا أيها الأحبة.. هذا النصر الذي منّ الله به على الأمة الإسلامية لا يجوز أن نفرط فيه بسهولة.

يريدون أن يعتموا عليه ويلقوا عليه الظلال، وكم حاولوا -من خلال صواريخ ستينجر ومن خــلال الـ (CIA) ومن خلال عرض التلفاز الأمريكي- القول أن مساعدتنا للجهاد الأفغاني كذا وكذا سنوياً أو يومياً، وما إلى ذلك حتى يصيبوا مقتلاً من عقيدة التوحيد التي أحياها الجهاد الأفغاني في قــلــوب الأمة الإسلامية، حتى يهدموا عقيدة التوكل على رب العالمين، التي نزعوها منذ قرون وأعادها الشعب الأفغاني بفضل الله.

خلال عقد واحد أعاد التوكل على الله في قلب كل مسلم، ولذلك عندما رأى القذافي أن نهاية الممالك الظالمة والقادة المتغطرسين الذين يتناسون مشاعر الشعب ولا ينظرون إلى إرادتهم...، عندما رأى نجيب الله يصدر قراراً -الضحك عليه أكثر من البكاء وإنه

١- في ندوة أقيمت بمعهد المسجد التابع لرابطة العالم الإسلامي سئل يونس خالص: لماذا قابلت ريغان؟ فقال: والله لم أقابله إلا خشية أن يقول غداً أمام الله إن أحداً من المسلمين لم يدعه إلى الإسلام، وأول ما قابلته دعوته إلى الإسلام فتلعثم ولم يجب، وحاول أن يتهرب من الموضوع بأسئلة أخرى بعيدة.

ضحك كالبكاء- يخرج مرسوماً جمهورياً من رئيس الجمهورية الشيوعي: من تأخر عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من وظيفته.

وكم تضحك وأنت ترى الشيوعيين يحملون العصي في شوارع كابل، كلما نادى المؤذن يسوقون الناس بالعصي إلى داخل المسجد.

هؤلاء الشيوعيون الذين فهموا لغة البيض والسمر... فهموا لغة الصفائح والقنا... فهموا لغة المثقف والحسام... فهموا لغة القذائف والدروع... فهموا لغة الرصاص.

هؤلاء أدركوا واستيقظوا، ولا يوقظ الأمم مثل قعقعة الرصاص، ومثل الدم الحار المدرار، ومثل الشهداء والجرحى على طول الطريق، وأن لنا أن ننشد للشعب الأفغاني:

قعد الناس كلهم عن مساعيك وقامت بها القنا والنصول
ليس من عنده تدار المنايا كالذي عنده تدق الطبول
أنت طول الحياة للروس غاز فمتى الوعد أن يكون القفول

يا أيها الإخوة: عندما رأى القذافي نجيباً يفعل هذا، وعندما رأى أن الضباط الروس يبيعون الضباط الشيوعيين الأفغان، وكم يهزك موقف أن ترى دبابتين من دبابات الروس واقفتين، وأمامهم المجاهدون بصواريخهم لا يطلقون طلقة، والناس واقفون لا تسمع لهم ركزاً، ماذا ينتظرون؟ ينتظرون الروس وقد باعوا أحد الضباط الشيوعيين الأفغان بسبعة آلاف روبية باكستانية.

يا أيها الإخوة: لذا فكر القذافي أن الدائرة ستدور عليه، فلا بد أن أبدأ أنا بالثورة قبل أن يثار عليّ. فركب البلدوزر وذهب إلى السجن وأخرج المساجين وبدأ يفتح الأبواب ويرجع الناس وفرق السجلات، وسيتبعه حافظ الأسد والطغاة في العالم، لأن لغة البيض والسمر أيقظت البيض والسمر... لغة الأفغان، لغة السيوف والرماح أيقظت الناس في كل ساح.

يا أيها الإخوة: لا يجوز أن نفرط بهذا النصر بعد أن وصلنا إليه، وقد من الله به على هذه الأمة، وسيكون له تبع **(ولتعلمن نبأه بعد حين)**.

إنها بداية التاريخ الإسلامي والله أعلم.

إن التاريخ الإسلامي بدأ في الصعود، والناس الذين نسمع أصوات تكبيرهم الآن في الأرض المباركة في بيت المقدس، ما هي إلا أصداء لما يجري في داخل أفغانستان المسلمة، وما نسمعه في داخل أذربيجان، إن هي إلا تحركات بعد أن رأوا شعب أفغانستان قد وقف هذه الوقفة.

وكما قال شاليزي صانع الأفلام في بيشاور -الأفلام عن أفغانستان- قال: إن الجهاد الأفغاني هو أول مسمار في نعش الإمبراطورية الروسية، وستتقوض روسيا بإذن الله عما قريب، ولا أظن الأمر يطول أكثر من عقدين ونصف...، لا أظن أن روسيا تحتمل أكثر من خمسة وعشرين عاماً -والله أعلم- فهذا علم الغيب.

(عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) (الجن:٢٦)

لكنها السُنّة التي نراها تجري، ولكنها الدول التي نراها تزول، فإذا أردتم أن تدول لكم الدول وترفعوا حقكم وتقيموا إسلامكم وتبنوا أمجادكم، فلا بد أن تضحوا كما ضحوا، والذين يريدون أن ينصروا الإسلام من خلال الأقلام أو من خلال المطالعات في الكتب، هؤلاء لعلهم يسمعون:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم
فإن كانت الدولات قسماً فإنها لمن ورد الموت الزؤام تدول
لمن هون الدنيا على النفس ساعة وللبيض في هام الكماة صليل

أروني عالماً واحداً يحكم العالم الإسلامي.

لقد تتبعت التاريخ وما رأيت أحداً حكم إلا بالسيف.

ما رأيت عالماً انتخب من شعب، أنظر الآن وقبل الآن الأتراك العثمانيون... السلاجقة... المماليك... الغزنويون... أحمد شاه

بابا، كلهم شبه أميين إن لم يكونوا أميين.

وقد حكمت تركيا الأمة الإسلامية خمسة قرون متواصلة وأوروبا تخضع لها.

ويكتبون عن الإنجليزي والفرنسي، عندما يموتون في داخل الدولة العثمانية (فطس الكافر).

لذلك كله يقولون كما قال توينبي: إن من المؤكد أننا لم نكن نحب التركي التقليدي المسلم المتحمس، الذي كان يثير حنقنا عندما ينظر إلينا من أعلى على أننا زناديق... حاولنا أن نحط من كبريائه إلى أن استطعنا أخيراً أن نحطم سلاحه النفسي، وحرضناه على القيام بهذه الثورة التي استهلكها الآن أمام أعيننا، والآن وبعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا، وبعد أن أصبح يفتش عن كل وسيلة لجعل نفسه مماثلاً لنا وللشعوب الغربية من حوله... الآن نحن نحس بالضيق والحرج... بل ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق.

وللتركي أن يرد: لقد نفخنا معكم في القرب فلم ترقصوا وحزنا فلم تبكوا.

لقد حقق الله في هذا الجهاد انتصارات عجيبة، ما كانت في خيالنا حتى في الرؤى والأحلام، وما مرت على العالم الإسلامي خلال ثلاثة قرون، فلا يجوز أن نفرط بها -خاصة نحن الذين شرفنا الله بخدمة هذا الجهاد المبارك والذي نرجو الله عز وجل أن يلحقنا فيه بالشهداء، ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص والاستقامة-. وأنتم تعلمون أن للشهيد عند ربه سبع خصال: **{يغفر له عند أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع بسبعين من أهل بيته}** [1].

يا أيها الإخوة: الشعب الفلسطيني ينتظرنا كذلك، والمسلمون في كثير من أرجاء الأرض مظلومون محطمون، يجتث الإسلام بيد من يسمون بأسمائه، ويقتلع من جذوره على يد من يحملون بشرة سكانه، ومع ذلك فهم ألد عليه من أعدى أعدائه.

يا أيها الإخوة: إن الإسلام ينتظرنا في كل مكان، وحق على كل مسلم إذا أراد العزة في الدنيا، وإذا أراد أن يقيم دين الله في الأرض، وإذا أراد أن يغرس التوحيد في المعمورة، فلا بد له من استعمال السيف والنار... لسنا شاكين في قول الصادق المصدوق: **{بعثت بالسيف بين يدي الساعة}**، لماذا؟ **{حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي}**.

فالرزق ليس من خلال الخطط الخمسية والعشرية، الرزق كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمجاهدين الذين فتحوا بيت المقدس، ووصلوا أرض الحولة، واستنفروا قليلاً، وزرعوا أرضها بسمراء الشام (حنطة الشام)، أرسل إليهم من يحرق زروعهم ثم قال له بلغهم هذه الرسالة: إذا تركتم الجهاد واشتغلتم بالزرع، ضربت عليكم الجزية وعاملتكم معاملة أهل الكتاب... إنما أقواتكم مما تأخذون من أفواه أعدائكم.

فهل أنتم معتبرون ومتعظمون؟ أم لا زلتم تنتظرون الأمم المتحدة حتى ترجع لكم الأقصى، وحتى تعيد لكم الأرض المباركة؟!!

ألا هل بلغت اللهم فاشهد، ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

الخطبة الثانية:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا.

الحمد لله الذي منّ على عباده بالنصر.. الحمد لله الذي من على عباده بأداء المناسك والعبادات... الحمد لله الذي من على جنده بالعزة... الحمد لله الذي أوصلنا إلى مستوى لم نكن -والله أيها الإخوة في العام الماضي- نحلم حلماً أن نصل خلال عام إلى هذا المستوى.

وبعد أن أطبق العالم كله لكي يقنع الناس أن الجهاد الأفغاني قد انتهى، حتى تكف أيديهم عن البذل، وحتى تقلع مشاعرهم عن المشاركة، وحتى تكف قلوبهم عن أن تطير فرحاً مع هؤلاء.

إن التلفاز في العالم العربي والصحف وغيرها تردد ما يردده سادتهم في الغرب، كالببغاوات كما قال شوقي:

جرب البهتان فيه وانطلى الزور عليه ... باله من ببغاء عقله في أذنيه

هؤلاء يرددون ما يردده سادتهم -الغرب-، وهم يريدون أن يمنعوا كل يد تمتد لهؤلاء بالمساعدة، ولكل من جاء ليشارك في

حسن رواه الترمذي-.

مسيرة العز والمجد وليؤدي فريضة الجهاد.

وقد أعلنا كثيراً أن الجهاد في أفغانستان فرض عين وفي فلسطين وفي كل أرض تستطيع استعمال السلاح فيه، ليس في أفغانستان فحسب... بل الجهاد فرض عين على كل مسلم يستطيع حمل السلاح في كل أرض كانت تتظلل بالإسلام ثم اغتصبها الكفار.

وهذا إجماع السلف والخلف من الأصوليين والمحدثين والمفسرين والفقهاء، لم أر كتاباً تعرض للجهاد إلا ونص على هذه القاعدة، والخروج إلى الجهاد إذا كان فرض عين -كما هو الآن- لا استئذان من أحد من العالمين، لأن القاعدة الشرعية: لا استئذان في فروض الأعيان... يخرج الولد دون إذن والده والمدين دون إذن دائنه، والمرأة -إذا كان معها محرم واستطاعت أن تشارك في الجهاد- دون إذن زوجها.

أيها الإخوة.. أيها الأحبة: وفرض العين لا ينتهي في أفغانستان بانتصارها، بل ويبقى الجهاد فرض عين حتى تعود آخر بقعة كانت إسلامية إلى يد المسلمين، وتحكم بالإسلام مرة أخرى، فأمامنا فلسطين وبخارى ولبنان وتشاد وأرتيريا والصومال والفلبين وبورما واليمن الجنوبية الشعبية وغيرها (عُدَّ ما استطعت) طشقند، الأندلس،... كل هذه يجب أن نعيدها حتى يسقط إثم فرض العين من أعناقنا، وما لم تعد الأمة الإسلامية كل هذه البقاع فهي آثمة، وإثم الجيل الذي يواكب القضية الحية أعظم من الأجيال التي تأتي بعده، فإثم جيلنا في تفريطه في أفغانستان... في تفريطه في فلسطين، أعظم من الأجيال التي تأتي بعدنا، لأنه يواكب القضية وعاشها وهو قاعد... ومن بعيد إذا جئت تحدثه عن أفغانستان فليس لديه وقت أن يستمع قصص الذين صنعوا مجدهم فوق الجوزاء، وأقاموا عزهم فوق عنان السماء وعلى بحور الدماء، وعلى تلال الأشلا وعلى جبال الشهداء.

ليس عنده وقت.. إنه مشغول، وقد فتح له الشيطان مائة باب من أبواب الدنيا... كيف يترك الوظيفة؟ وكيف يترك أمجادها، والجامعة تنتظره، وهو على ثغرة من ثغر الإسلام..!! إياك أن تذهب للجهاد!!.

ولتعلموا أن الحكم الشرعي فيمن قال لأحد أنصحك أن لا تذهب للجهاد تماماً -والله إن لم يكن أشد كما أعتقد- فلا يقل إثماً عن الذي ينصح الشاب القوي الصحيح المقيم في بيته أن يفطر في رمضان، عامداً متعمداً بدون أي عذر.

يا أيها الإخوة: الجهاد ماض رغم أنوف المعارضين أجمعين... الله تكفل به... ماض إلى أن يخرج الدجال.. ماض لا يبطله جور جائر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

{لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك}.

قال لي أحدهم: قال بعض المشايخ أو بعض العلماء: أن الجهاد فرض كفاية، وبعضهم ينصح بعدم الذهاب إلى أفغانستان وبعضهم يرى أن العلم أفضل من الجهاد الآن، وأنا قلت له: إن الله فتح باب الجهاد، وسال سيل الجرد الأبابيل، وجاءت العتاق تحمل الفرسان من كل مكان.

والله الآن لو أفتوا بحرمة الجهاد في أفغانستان لن يستطيعوا أن يوقفوا هذا السيل، فليفتوا كما يشاءون وأمرهم بينهم وبين رب العالمين، ونحن نظن الخير والصدق والإخلاص في كثير من مشايخنا وعلمائنا، لكنهم نقول معتقدين مع احترامنا للمشايخ في كل مكان- لو رأوا ما رأينا لأفتوا بما أفتينا، ولو علموا ما علمنا من واقع الأمر في أفغانستان لما وسعهم إلا أن يقولوا كما قلنا.

يا أيها الإخوة: تفقدوا إخوانكم المهاجرين... روحوا عن قلوبكم بفترات تجلي الصدأ عن قلوبكم بين الأحياء، لتجلي قلوبكم مرة أخرى.

أزيلوا الصدأ في صدى، وفي أي مكان يعدكم لدخول إلى أن تعيشوا مع هؤلاء الذين رفعوا رؤوسهم عالياً، ورفع الله بهم رأس كل مسلم في الأرض.

يا أيها الإخوة: لا تنسوا كذلك أن الله شرفكم بخدمة الجهاد في هذه البلاد، فإياكم إياكم أن تبطلوا أعمالكم وأن تحبطوا أجوركم، وأن تعملوا ألسنتكم ضد شعب أعز الله به الأمة الإسلامية في كل مكان.

إياكم إياكم... احفظوا عليكم ألسنتكم، وحافظوا على أجوركم، ولا تتوسعوا [illegible]

رابعة النهار.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم[1]

يا أيها الإخوة: إن أفغانستان هي بداية الصعود في الخط البياني للعالم الإسلامي أجمع، وسيتغير التاريخ بإذن الله، وكما نظ ونرجو الله أن لا يخلف ظنوننا ... سيتغير التاريخ.

مراراً غير التاريخ أناس خرجوا من هذه البقعة: الخوارزميون والتتار من هذه البقعة، والغزنويون من هذه البقعة، والأفغا من هذه البقعة، **(ولتعلمن نبأه بعد حين).**

أيها الإخوة: شرفكم الله أن تكونوا طلائع أقوامكم فكونوا لسان صدق للجهاد... كونوا لسان صدق ولا تكونوا مخذلين و مثبطين ولا معوقين:

(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير) (الأحزاب١٨-١٩)

كلمة خير لا يخرجونها، محرومون من الكلمة الطيبة.

(أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) (المائدة:٤١)

مساكين، محرومون من الأجر الذين لا يدركون كيف تسير المجتمعات، وكيف تتغير الأمم.

يا أيها الإخوة: يا أيها الأحبة، كونوا لسان صدق للجهاد، ولا تعوقوا ولا تعطلوا ولا تثبطوا، وبعض الناس يقولون: أنا بدل أ أقوم مع هذا الشعب الجاهل، أنا ذاهب إلى بلادي وأصلحها، ولا يمكن أن يقوم الحكم الإسلامي في أفغانستان على يد هؤلاء البدا الجبليين الأميين!!

ويسأل الواحد: هل تظن أن دولة إسلامية ستكون في أفغانستان؟ فقلت له: أين طار لبك؟ أم أين ذهب عقلك؟ حافظ أس والقذافي يحكمون دولاً، وهم لا يحملون إلا التوجيهي أو معهم الثانوية العامة..!! سياف وحكمتيار ورباني وخالص لا يستطيعون حكم شعب حكموه في أشد ساعات الحرج وأحلك ساعات الظلام!! أين أنت؟

إذا كان هؤلاء الجاهليون الذين لا يؤيدهم الله استطاعوا أن يحكموا شعوبهم، أفلا يستطيع هؤلاء المسلمون -الذين انتزعو قيادتهم وإعجابهم من خلال خوض الدماء، ومن خلال تخويضهم في لب الصناديد وفي ماء رقابهم وفي نجيع قلوبهم- أين أنت؟!!

العالم الإسلامي مليء بالطاقات، عندما يمسكون الحكم ينادون، وخلال سنتين من خلال وزارة الإعلام ووزارة الأوقاف والصحف والمجلات، يبتون شعباً أكثر ثقافة بالإسلام من أي شعب من شعوب الأرض كلها.

ولذلك الإسلام -إن شاء الله- قادم، والإسلام سينتصر، وأنتم كونوا لسان صدق لإخوانكم الذين فسحوا لكم المجال، وفتحو لكم باب عبادة الجهاد وفريضة القتال، وقد لمّ الله جمعكم لتكونوا طلائع بعث لأممكم.

(إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) (الشعراء:٥١)

فالله عز وجل يكتب لكم أجر كل مسلم في الأرض، ممن تأثر بكم ممن سبقتموه على هذا الطريق، فلا تضيعوا أجوركم.

والشيء الثالث: أنتم هنا جئتم لخدمة هذا الجهاد الإسلامي في أفغانستان، فلا تشتغلوا بغيره.

اشتغلوا بخدمة الجهاد.. اشتغلوا بعبادة رب العالمين، من خلال هذا الجهاد، وإياكم أن تحمل قلوبكم على بعضكم البعض.

وهذا اليوم يوم عيد، وهو يوم التصافي ويوم التسامح ويوم المحبة ويوم المودة، فاقبلوا على بعضكم وتناسوا الضغائن، إذ كانت موجودة إن كان قد زرعها الشيطان في قلوبكم.

(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون) (المؤمنون:٩٧-٩٨)

والسنة كذلك -في مثل هذا اليوم- أن تضحوا الأضاحي بعد الصلاة وفي النهار ولا تضحوا في الليل -يبدأ الذبح بعد

١- يقصد الشيخ من ذلك لا تعلمنوا بالجهاد والمجاهدين ولا تنكروا خير هذا الجهاد ربما فعله في واقع الحياة.

الصلاة-.

ومن المستحسن أن تأكلوا ثلثها، وتتصدقوا بثلثها، وتهدوا لأصدقائكم وأحبائكم من الأغنياء -ولو كانوا أغنياء ثلث من أرحامكم-.

وكذلك تتصدقون على الفقراء بالثلث الثالث، وكلما زادت الصدقة كلما كان لكم فضل وأجر عند الله رب العالمين.

وأما غداً فيبدأ الذبح بعد صلاة الفجر، ولا تنسوا التهليل والتكبير في هذه الأيام، كما قال ﷺ عن أيام التشريق **(أنها أيام أكل وشرب وذكر)**.

ولا تنسوا التكبير بعد كل صلاة، سواء كنتم منفردين أو كنتم جماعة، والنساء كذلك يكبرون -إن كن في جماعة-، ولكن لا يرفعن أصواتهن.

- وكذلك أيها الإخوة لا تنسوا زيارة بعضكم بعضاً، وحاول زيارة من استطعت من إخوانك حتى تدخل السرور على قلوب المسلمين.

ولا تنسوا المخيمات التي حولكم، ومن سنة رسول الله ﷺ أن يصافح بعضكم بعضاً في هذا اليوم، كما كان الصحابة يفعلون ويقولون لبعضهم البعض، يتقبل الله منا ومنكم عبادتكم وجهادكم ورباطكم وإعدادكم، وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ.

اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم واهدهم سبل السلام.

اللهم لا تمر هذا العام إلا ونحن نرى رايات النصر في كل أفغانستان، اللهم اشرح صدور المؤمنين وفرح قلوب الموحدين برؤية راية التوحيد، عالية خفاقة فوق أرض أفغانستان وبلاد الإسلام.

اللهم انصر المجاهدين في المسجد الأقصى وفي فلسطين وفي الأرض المباركة وفي لبنان وفي الفلبين وفي بورما وفي تشاد وفي أرتيريا وفي الصومال وفي اليمن وفي كل مكان تشهر فيه السيوف ابتغاء مرضاتك ومن أجل ثوابك.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم ارفع راية الإسلام وحكم دولة القرآن واجعلنا من جنود القرآن.

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) (الصافات:١٨٠-١٨٢)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك[١]..

رحل رجل المرحلة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

حول المذياع وأمام كهف من الكهوف في منطقة كابل، والطيران لا يكاد يهدأ ليلاً أو نهاراً -هلعاً من المجاهدين وفزعاً من جحافلهم التي تحيط بكابل إحاطة السوار بالمعصم-، وأبو البراء يبحث عن إذاعة بلغة عربية للاستماع إلى آخر التطورات، وإذا بإذاعة بالفارسية، فاقبل القائد محمد صديق جكري القائد في (خورد كابل)، فصاح وقد التقط بعض الكلمات: قتل ضياء الحق.

فنزلت الكلمات كالصاعقة على قلوبنا، ولكن بقيت خيوط أمل أن الخبر لم يكن يقيناً، وودنا والله لو لم يصدق الخبر، وعندما أيقنا بالنبأ قلت: اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منه.

وسرى النبأ بين المجاهدين كالنعي في يوم عرس، والمجاهدون أكثر من غيرهم يعلمون من هو ضياء الحق، فلم يكن ضياء في حياتهم رئيساً ولا مضيفاً ولا مجاهداً فحسب، ولكنه كان خلاً وفياً وأخاً حميماً وقطب الرحى في أعظم قضية إسلامية ملأت الدنيا

١- حذف موضوع (من الدعوة إلى الدولة) بسبب تكراره في مجلد (في خضم المعركة)(ص٢٦٤).

وشغلت الناس.

ولا أبالغ إن قلت: إن حزن بعض القادة عليه حزن من ذبح وليدها في حجرها.

وقبل أن أبدأ أقول: إن مقالتي هذه للذين عاشوا هذه المرحلة الخطيرة بآلامها وآمالها وبحرارتها ومرارتها وحلاوتها.. للذين احترقت أعصابهم وهي تحاول شق طريق تداعت عليه أمواج البلاد من كل الأنحاء... أكتبها للذين عاشوا حياة جهادية عملية يدركو أكثر من غيرهم صعوبة اجتياز العقبات بين فكي الموت، ووعورة السير في طريق مرير وأحجار الرحى تطحن حياتهم وأعصابه وشرايينهم... أكتبها للذين تقلبوا بين أهوال الحرب، وتكبدوا مشقة الحياة بين سماء تمطر حمماً، وأرض تفجر براكين، وجبال تنهل بوابل رصاصها، وآذان تصك بقعقعة الأعنة وصليل السلاح وضبح العتاق المذاكي[1]، وأغشيت أبصارهم بوهج المشرفية[2] وبري العوالي[3] وتسطل[4] النزال ونقع القتال.

أكتبها لهؤلاء، وليس للذين يعيشون في أبراجهم العاجية قد نسجوا من خيالهم قصوراً وعملوا من سراب الصحافة بحوراً.

إن هؤلاء لا يمكن أن يدركوا ما أقول... ولا يعرف الشوق إلا من يكابده.

وأنا لا أريد أن أطرق جوانب حياة ضياء الحق السياسية ومواقفه تجاه الأحداث الدولية، فهذه قد تدخلنا في متاهة يُتصيد فيه أخطاءنا أولئك الذين لا يحسبون الخير إلا ما تجمع في صدورهم من غلّ وما يكنونه بين جوانحهم من حقد على كثير ممن يحاولون أ يغرسوا القيم في الأرض، ويحيوا المثل في عالم الناس... إن القضية في أذهان هؤلاء منحسمة، أن ضياء عميل للمخابرات الأمريكية.

سأكتب عن ضياء الحق، الرجل الذي عاش قضية الجهاد الأفغاني منذ أوائل أيامها حتى لقي الله إثر تحطم الطائرة به.

فضياء الحق رجل كأن الله أعده لهذه المرحلة الحساسة الخطيرة.

وهو كرجل عسكري، أدرك بثاقب نظره أبعاد الغزو الروسي لأفغانستان، واستقر في كيانه ووقر في جنانه أن باكستان ستكو لقمة سائغة يزدردها[5] الدب الروسي فيما لو تهاوى هذا الطود الشامخ وانهار هذا السد السامق، الذي تجسد في الجهاد الأفغان أحداثاً أغرب من الأساطير وأبعد من الخيال، فكانت هذه الوقفة المشرفة التي استمرت عشر سنوات متواصلة، عاشها رجل المرحا بأعصابه وقلبه ونفسه ونبضاته وحركاته وسكناته.

كان يدرك أهمية الجهاد ومعنى الهجرة -ولا غرو في ذلك-، فقد قال عن نفسه ذات مرة -والمعارضة تطل برؤوسها م جحورها-: إنني لن أترك الجهاد الأفغاني لأناس لا يعلمون معنى الهجرة، فلقد عشت الهجرة بنفسي، فأنا مهاجر وسرت مع أمي عل الأقدام مسيرة مائة ميل عند قيام باكستان.

وكان يردد: لقد شهد هذا القرن معجزتين أذهلتا العقول البشرية.. قيام باكستان كدولة من لا شيء، وصمود الشعب الأفغان المسلم أمام الدب الروسي حتى أثخنه بالجراح.

والذين لا يعرفون نسيج دولة باكستان ولا طبيعة أهلها، وليس لديهم صورة جلية عن الركام الهائل الذي ورث ضياء الحق عم سبقوه فوق عرش باكستان، ممن لا يثقون بقدرة الإسلام على مواكبة الحياة المعاصرة...، إن الذين لا يعلمون هذا لا يمكن أن يدركو قيمة هذا الرجل الذي كان نعمة على باكستان بعد ثلاثين عاماً من قيامها وتأسيسها.

لقد استلم باكستان حطاماً وركاماً يتناوله أناس لا يعيشون آلام هذا الشعب، بعد أن أطبق العالم على فصل شرق باكستان.

إن كثيراً من الناس لا يدركون أن أصحاب المناصب العليا وذوي المراتب الذين يمسكون بأيديهم دفة القيادة وعجلة التوجي الباكستانية، يعيشون في واقع حياتهم انفصاماً نكداً بين الإسلام كنظام حياة وبين بعض الشعائر التي يؤدونها -كمراسم في المحاف والأعياد-، وكثير منهم كانوا لا يفتأون يرددون صباح مساء أن ضياء الحق يعيش في عالم الأوهام وفي دنيا الأحلام إذا كان جاداً ف تطبيق الإسلام.

دولة باكستان الفيدرالية:

كثير من الناس لا يعلمون التركيبة المعقدة والتشكيلة العجيبة لدولة باكستان الفيدرالية، التي تتكون من أربع ولايات:

١- الخيول الأصيلة ٢- السيوف. ٣- الرماح. ٤- الغبار ٥- يبتلعها

السند:

وحاضرتها كراتشي التي لا زالت تطالب بالانفصال عن باكستان والانضمام إلى الهندوس.

وسرحد:

الحدود الشمالية الغربية، وحاضرتها بيشاور وأهلها البشتون، ولا زال زعماؤها القوميون يأنفون أن يُنسبوا إلى باكستان، ويرون أن هذه المنطقة جزء لا يتجزء عن أفغانستان، وكثير منهم إذا غضبوا من الدولة يهددون بنسف الجسر الواصل بين بيشاور وإسلام أباد -جسر أتك-.

وفي هذا العام عندما هلك عبدالغفار خان الزعيم القومي البشتوني الشيوعي المعروف، أوصى -وهو على فراش الموت- أن يكفن بالثوب الأحمر وأن لا يدفن في أرض الأنذال -باكستان-، بل لا بد أن يدفن في أرض الأحرار الشيوعية (جلال أباد-أفغانستان)!!.

وسارت الجنازة محفوفة بالآلاف من السيارات التي تحمل الرايات الحمراء والممتدة على طول الطريق بين بيشاور وجلال أباد، وعشرات الألوف من المصلين الباكستانيين -ذوي القبعات الحمر[1] يندبون الفقيد بدموع ساخنة ويسيرون هذه المسيرة، وعندما تسألهم يذهلك قولهم: إنه زعيم مسلم!!.

وأما الإقليم الثالث: بلوشستان:

ومركزه كويتا والواصل بين أفغانستان وبحر العرب والخليج، فحدث عنه يا صاح ولا حرج.

إن أكثر من (٩٥٪) من أبناء المدارس الحكومية يهتفون للشيوعية، ويحبون الروس، ويُحيون الأعياد في ذكرى دخول الروس والانقلاب الشيوعي، ولا تريد أن تزكم أنفك بأخبار جامعة بلوشستان التي ترفع فوقها الرايات الحمراء.

وأما البنجاب:

ومركزه لاهور، فقسم من أهلها يميلون إلى ضياء الحق للنوازع القومية والدوافع العرقية، ولا زال بعض ساستها يكتبون في صحفهم أن على باكستان أن تفتح الطريق أمام الروس، ليركزوا راياتهم فوق بحور البترول العربية على شواطئ الخليج.

هذه الدولة هي التي قادها ضياء الحق في أحرج مراحل تاريخها، وفي داخلها سبعة عشر حزباً من أحزاب المعارضة، قد نذروا أنفسهم ألا يدعوا له فرصة لالتقاط أنفاسه، ويقضّوا عليه مضجعه ويؤرقوا عليه أجفانه، ولا تكاد تستثني من هذه الأحزاب المعارضة، سوى ثلاثة ممن لا يرفعون عقيرتهم[2] مطالبين بطرد المهاجرين الأفغان... أما بقيتهم فلا يدعون فرصة تمر إلا ويفتعلون الأحداث التي يبررون بها ضرورة التخلي عن قضية القرن الأفغانية، وهو أمامهم صامد كالطود الشامخ، ثابت ثبوتاً كالشم الرواسي، ولا يدع فرصة إلا ويصرح قائلاً: لن أتخلى عن مسؤوليتي كمسلم تجاه هذا الجهاد المشرف، حتى أودع آخر مهاجر على باب (طورخم) في ممر خيبر -معبر أفغانستان- رافع الرأس معززاً مكرماً عائداً إلى أفغانستان.

كان الدكتور حسين حامد مدير الجامعة الإسلامية على صلة حميمة بضياء الحق، وكثيرٌ ما كان يحدثني بانبهاره وإعجابه بهذا الرجل كإنسان مسلم.

وقد حدثني إحسان إلهي ظهير -رحمه الله- وقد كان مستشاراً لضياء الحق، ثم انفصمت بينهما عرى المحبة، فشهد لي -أثناء الجفوة بينه وبين ضياء الحق- أن الرئيس كان يقوم الليل، فقال: اتصلت به من لندن الساعة التاسعة -غافلاً عن الفارق الزمني إذ كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل بتوقيت باكستان- فرد عليَّ السنترال: أن الرئيس في الصلاة، فانتظرت حتى يختم الشفع ويرد علي.

وقد التقيت بالرئيس في عدة ندوات وزرته في بيته وسمعت له عن كثب، وكان الطابع الذي يميزه دائماً البساطة والوضوح والاستعلاء الإيماني مع التواضع.

كان لا يني أن يذكر في كل خطاب عظمة هذا الدين، وتقصير المسلمين إزاءه وتقاعسهم تجاهه، فكانت كلماته تنبثق من

١- الشيخ يهزأ من هؤلاء، فرغم أنهم شيوعيون حمر إلا أنهم صلوا على زعيمهم الهالك ويقبعات من جنس شعارهم.

٢- أصواتهم

الأعماق، ولذا فإنها تستقر في الأعماق... فهذا الانطباع الذي كان يتركه في نفسي بعد كل مرة.

يتكلم كأنه جندي في الميدان، أو قائد من قادات الأفغان... سمعته ذات مرة يقول: تحدثت مع السفير الروسي فقلت له: إنك غزوتم الفضاء وجاوزتم الجوزاء، ولكن يبدو أنكم لم تدرسوا التاريخ، فتساءل السفير الروسي مستغرباً: ومن لك بهذا الادعاء؟ فقلت: لو درستم التاريخ لما أخطأتم هذا الخطأ التاريخي بمواجهة الشعب الأفغاني، الذي يروي لنا التاريخ عنه أنه قاهر الغزاة ومحطم العتاة.

وعندما أعلنت روسيا عن عزمها على الانسحاب من أفغانستان، بدأت بعض الألسنة تلهج بالثناء على غورباتشوف، فوقف ضياء الحق -ومن خلال أجهزة البث التي تنقل للعالم- يقول: إن مثل روسيا في أفغانستان كمثل لص دخل بيتاً فقتل أهله وأخذ متاعه ثم خرج، فليت شعري أي شكر يستحقه هذا اللص؟!!

ثم قال: نحن خير أمة، أنزل الله لنا خير دين، وبعث لنا سيد المرسلين ﷺ، حمل لواء الجهاد، فأعز الله دينه، وأنقذ به الإنسانية ثم تخلينا عن هذا اللواء وفرطنا بهذا الدين، فعدنا في ذيل القافلة، وأراد الله عز وجل أن يضرب مثالاً حياً لهذه الأمة بأن ساق لها الجهاد الأفغاني، ومواجهة أضعف الشعوب الإسلامية لقوة عظمى تعتبر من أشرس قوى الأرض وأعتاها، ونصرة الله لدينه والإيمان ليرينا أن ديننا هو سبيل عزتنا.

وكم كان يؤكد لقادة الجهاد الأفغاني أن موقفي بجانبكم واجب يمليه علي ديني ويفرضه علي خالقي، وكلما اشتدت الخطوب وكشرت الدنيا عن أنيابها وتنكرت لهذا الجهاد، ينبري ضياء الحق ليؤكد لهم أن موقفه لن يتزلزل، وصموده بجانبهم لا يتزعزع.

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

وقفت الدنيا كلها هذا العام، وهي ترتعد مترقبة وصول المجاهدين إلى سدة الحكم، وأصبح إيقاف الجهاد الأفغاني وإيصاد أبوابه شغل الدول الشاغل، وحديثهم الدائم، وألقت البشرية بكلكلها، وأطبقت بثقلها على ضياء الحق ليوقع المعاهدة.

ووقف وحيداً أمام العالم، وحكومته تستحثه الخطى لتوقيع المعاهدة، وهو يدفعهم بكل ما أوتي من قوة، ويلقي بالعراقيل أمام نقل هذه المعاهدة إلى حيز التنفيذ، ثم قال أخيراً: لقد وقعت المعاهدة عندما تخلت عني الأرض كلها، وتلفت حولي فلم أجد صديقاً ولا عدواً.

وعندما رأى أن حكومته جادة في إغلاق الحدود، وفي محاولة تنفيذ المعاهدة بحذافيرها، دثرها بقدمه وأمسك الحكم بقبضته الحديدية، وفاء بعهده -لتنطمس في عالم النسيان- الذي قطعه على نفسه وأشهد عليه المسلمين ما لا يحصى من المرات بالوقوف حارساً لقلعة هذا الجهاد العظيم.

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

وكنت تحس أنه ينطلق في تفسيره للأحداث منطلقاً إسلامياً، فبعد توقيع باكستان للمعاهدة حدث انفجار مخزن السلاح المروع في إسلام أباد، وإذا به يقول: هذا إنذار من رب العالمين وانتقام منا لتوقيعنا المعاهدة.

وكنت تراه -وفي غمرة الأحداث الطاحنة- لا تفارقه السكينة ولا يزايله الاطمئنان، وكأن هذه الأحداث المزلزلة في كوكب آخر، فكأن الطمأنينة جزء من كيانه وركن من أركانه، ولسان حاله يقول:

تخـفر عندي همتي كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتطاول
ومن يبغ ما أبغي من المجد والعلا تساوى المحابي عنده والمقاتل

تفسير هذه المواقف:

والذي يعرف حياة ضياء الحق الخاصة لا يستغرب هذه المواقف الإيمانية، فهو معروف بمواظبته على الصلاة، وقد شهد أكثر من واحد أنه يقوم الليل، وشهد لي أخ عزيز -أيمن- عن فضل ربي -رجل لصيق بضياء الحق- أن ضياء الحق حتى الآن[1] يقوم في الصباح على وضوء أمه بنفسه، أضف إلى هذا أنه معروف بنظافة الفم من المدام[2] وبنظافة الفرج.

١- حتى الآن: أي حتى وقت ذكر الرواية للشيخ.
٢- الخمر.

صفحة مفقودة

صفحة مفقودة

فكيف إذا كان الشعب كله مأسوراً أو عرضة للأسر؟

٤- لقد أفتى العلماء بجواز نقل صدقة الفطر من قطر إلى قطر، ونقل الزكاة إذا اشتدت الحاجة في القطر البعيد، وكان من بين العلماء المعاصرين المفتين: فضيلة الشيخ ابن باز وفضيلة الشيخ ابن جبرين، فهلا انتبه المسلمون إلى جمع الزكاة وصدقة الفطر وإرسالها إلى أرض الجهاد، لشراء الأرز والطحين؟

٥- إن أبواب الخير في الجهاد مشرعة -لمن أراد الولوج-، فهلا جهز المسلم غازياً، أو كفل يتيماً، أو رعى أسرة عالم متفرغ للجهاد؟

٦- لقد بلغنا من الإخوة في فلسطين أن القنابل المسيلة للدموع عندما نفذت في إسرائيل، جاءتهم قذائف مكتوب عليها صناعة أمريكا وبتاريخ الشهر نفسه -وهذه قرئت على القذائف التي لم تنفجر-، فإذا كانت أموالنا نشتري بها سياراتهم توجه رصاصاً إلى صدور إخواننا في فلسطين، فعلينا أن نقاطع البضائع الأمريكية -فضلاً عن الروسية- حتى تحل البطالة بين العمال في أمريكا، ليشكلوا ورقة ضاغطة ضد السياسة الأمريكية في عقر دارها، ولذا يجب على المسلمين أن يعتبروا أمريكا دولة محاربة إذا أصرت على موقفها في دعم اليهود، ويجب مقاطعة البضائع الأمريكية (السيارات والثلاجات والغسالات ولعب الأطفال والمرطبات وغيرها) حتى تتوقف البلايين الأمريكية المنصبة على اليهود.

ولا بد من الانصراف عن السياحة في أمريكا، خاصة والصيف يطرق الأبواب، فكيف نقابل الله عز وجل يوم القيامة؟ وكيف نعمل بالآية الكريمة: **{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة}** (الممتحنة:١).

وختاماً:

نحن ننصح الإخوة الذين يودون أن يعرفوا حجم القضية الجهادية وثقلها أن يأتوا لزيارتنا على الأقل في بيشاور، وليضعوا أموالهم في الأيادي المستحقة يداً بيد **[ولغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها]**.

أو يُربِّت بيده على رأس اليتيم، أو يزور الجرحى الذين سطروا بدمائهم أروع آيات التضحية والفداء.

{إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً} (النساء:٤٠)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

محرم (١٤٠٩هـ) أغسطس (١٩٨٨م)[1]

وصايا إلى الشباب المسلم المجاهد [2]

١- إن الجهاد في سبيل الله هو أشق الأمور على النفس وأصعبها، ولا يحتمله إلا أفذاذ من البشر، ولذا جعل الله الجزاء مقابلاً للجهد والبلاء والمشقة.

٢- إن الجهاد في أفغانستان أروع صورة للجهاد في العصر الحديث خلال القرون الثلاثة الأخيرة، ويعتبر خارقة من خوارق الدهر.

ولكن الذين يجاهدون هم بشر كبقية الناس، وشعب كبقية الشعوب، لهم أخطاؤهم ولهم مخالفاتهم، وقد يذنبون الذنوب الصغيرة والكبيرة، وهو شيء طبيعي في البشر.

٣- إن الجو العام في أفغانستان هو ثقيل جداً على النفس البشرية، وهنا يأتي دورك في الصبر والمصابرة.

١- حذفنا المواضيع التالية (إيضاحات حول حكم الجهاد) و (ملاحظات هامة حول تطبيق الحكم) و (حكم التخوف من سؤال أجهزة الأمن) و (حكم جهاد النساء العربيات) و (حكم الذي به عاهة) و (نداء إلى ذوي الأسر) حذفت بسبب تكرارها في كتاب (إلحق بالقافلة).

٢- كثير من الإخوة المتحمسين للمشاركة في الجهاد مع الإخوة الأفغان يرسل إلينا يسأل عن طريقة الوصول إلى هناك.

وقد وجد الدكتور الشهيد عبد الله عزام أنه لا بد من الإعداد النفسي للشباب القادم إلى أفغانستان حتى يكون على علم وبصيرة بالأرضية التي سينزل فيها ويعيش عليها، فإنه أدعى للثبات وأعون على الصبر وهذه بعض الملاحظات:

٤- إن الشعب الأفغاني يحب العرب كثيراً ويحترمهم ويخدمهم، بشرط واحد وهو أن يثق بهم، فإذا وثق بهم قدم لهم نفـ روحه فداء.

٥- إن فوق أرض الجهاد أناس من مشارب شتى ومدارس مختلفة، والقاعدة التي نسير عليها هنا: نتعاون فيما اتفقنا ع ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

٦- إن الصورة في بيشاور غير الصورة في داخل أفغانستان. فلا يصدنك هذا عن الدخول إلى أرض المعركة لترى بنفـ الصورة المشرقة للجهاد.

٧- أخي الكريم: إن الجهاد صبر وثبات واستقامة واحتمال للشدائد كلها، وعليك بتقوى الله والذكر.

٨- كثر في الآونة الأخيرة التشكيك بعقيدة الأفغان، وتجرأ بعض الجهلة فقالوا: إن القتال في أفغانستان حرب بين المشرك الأفغان والملحدين الروس وهذه لعمر الحق إحدى الكبر.

٩- لا تنس أنك ضيف على الأفغان، وأن هؤلاء القوم مهدوا لك السبيل لأداء فريضة الجهاد، فالفضل لله أولاً وآخراً ثم لـ فاحفظ لهم هذه المنة.

١٠- لا تنس أن الجهاد عبادة جماعية فلا بد لها من أمير، والأمير واجب الطاعة {وإذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم وطاعة الأمير في السفر واجبة، فكيف بطاعة أمير الجهاد، فلا بد أن تعتبر نفسك جندياً، وإياك أن تفرض نفسك ناقداً على النا والجماعات.

نماذج من رسالة وجهها الداعية الدكتور الشهيد عبد الله عزام

إلى قادة الجبهات داخل أفغانستان في عيد الأضحى

القائد/......... حفظه الله تعالى!!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد منّ الله على المسلمين بكم إذ فتحتم باب الجهاد بعد أن أغلق منذ فترة ليست بالقليلة، وأعزكم الله بهذا الجهاد، واعتز بكم كـ مسلم في الأرض به، ورفع كل مسلم هامته، وعاد الأمل العريض يحيي النفوس.

إنكم -إن شاء الله- المنطلق لإحياء دين الله في الأرض من جديد، ولإنقاذ المستضعفين من أبناء هذا الدين في كل أرجـ المعمورة.

إن النصر الذي منّ الله به عليكم كان خارقة من خوارق العصر الحديث، وكانت كرامة كبرى أنعم الله بها على الناس، ليضر مثلاً حياً أن شعباً فقيراً ضعيفاً قد استطاع أن يقف أمام أشرس قوى الأرض وأعتاها، وذلك لإعادة التوكل على الله والثقة به إلـ قلوب المسلمين.

كان حلماً عزيزاً يراود خيال كل مسلم، أن يرى الإسلام مرة أخرى فوق منصة الحكم، ويملك زمام التوجيه، ويقود بحكمـ الشعوب.

لقد عادت النفوس مرة أخرى تفكر كيف تنطلق في الأرض لتنقذ البشرية من جديد بهذا الدين.

إن أول عمل ينتظرنا -بعد تحرير أفغانستان- هو إنقاذ فلسطين، وإنقاذ الولايات الإسلامية في تركستان الغربية والشرقـ طاجكستان، تركمنستان، قرغيزستان، أوزبكستان، كشغر،...، وغيرها).

إن إنقاذ هذه الولايات فرض عين على كل مسلم في الأرض. ولا استئذان من والد ولا دائن في الخروج للجهاد -في هذه المناطـ التي كانت تتظلل بظلال الإسلام في يوم من الأيام-.

إن الجهاد هو السبيل الوحيد لانتزاع حقنا من مخالب الوحوش البشرية ومن بين براثنها.

{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} (الأنفال: ٣٩)

{فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا}

(النساء: ٨٤)

ولقد شبه الرسول ﷺ ترك الجهاد بترك الدين، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داوود وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: [إذا ضن الناس بالدرهم والدينار وتبايعوا بالعينة وأمسكوا بأذناب البقر ورضوا بالزرع وتركوا الجهاد، سلط الله عليهم ذلاً لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم] وقال ﷺ: [الإيمان الصبر والسماحة].[١]

أيها الإخوة: لا تظنوا أن الانتصارات التي تنزلت على الشعب الأفغاني المسلم لشجاعته أو نخوته أو عدده أو عدته.. إن الذي نزل النصر هو رب العزة بدعاء الصالحين والفقراء [وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم وفقرائكم].[٢]

فيا أيها الإخوة: إياكم والغرور والإعجاب بالنفس والزهو بالنصر... إنكم لا تملكون لأنفسكم ضراً ولا نفعاً، ولا تمتلكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض:

{وله من في السموات والأرض كل له قانتون}. (الروم: ٢٦)

عليكم بالإخلاص، والتقوى، والقيام، وصيام النافلة، وحفظ اللسان، وحب المسلمين، والبعد عن النخوة القومية والعصبية القبلية الجاهلية، وإياكم ودماء المسلمين، فوالذي نفسي بيده إن حرمة دم المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة المشرفة. وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما: [لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم] وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي: [لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عز وجل في النار] [من قتل مؤمناً فاعتبط بقتله، لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً].

أيها الإخوة: إن الوحدة عنوان النصر، واتباع الرسول ﷺ رمز الهداية: {وإن تطيعوه تهتدوا}(النور: ٥٤).

{يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} (الأنفال: ٤٥-٤٦)

أيها الإخوة: هؤلاء الإخوة العرب إنما هم قادمون إليكم ليؤدوا واجبهم في هذا الجهاد الإسلامي، وليسهموا في خدمتكم، وكلهم شوق لنيل الشهادة وكسب رضوان الله لأن: [قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة][٣]

[موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود][٤]

وهؤلاء الشباب تركوا وظائفهم وجامعاتهم، وودعوا الدنيا وزخرفها وأقبلوا على الله للمشاركة في ساح الجهاد، وهم مذاهب مختلفة، بعضهم من المذهب الحنفي، وبعضهم من الشافعية والحنبلية والمالكية.

وقد أوصيناهم أن يحفظوا لكم مقامكم وأن يطيعوكم، وأن لا ينازعوا الأمر أهله منهم، وبعضهم قد مكث فترة طويلة حتى حصل على تأشيرة أو تذكرة للوصول إلى باكستان وإليكم.

فنأمل أن تسهلوا لهم مهمة خدمتكم والوقوف بجانبكم، ولتعليمكم لغة القرآن وأحكام التنزيل.

وفقكم الله وقواكم ونصركم وأقام دولة الإسلام على أيديكم.

مكتب الخدمات

أخوكم الدكتور عبدالله عزام

١- حديث صحيح رواه أحمد. ٢- رواه البخاري. ٣-حديث صحيح رواه ابن عدي. ٤-حديث رواه ابن حبان.